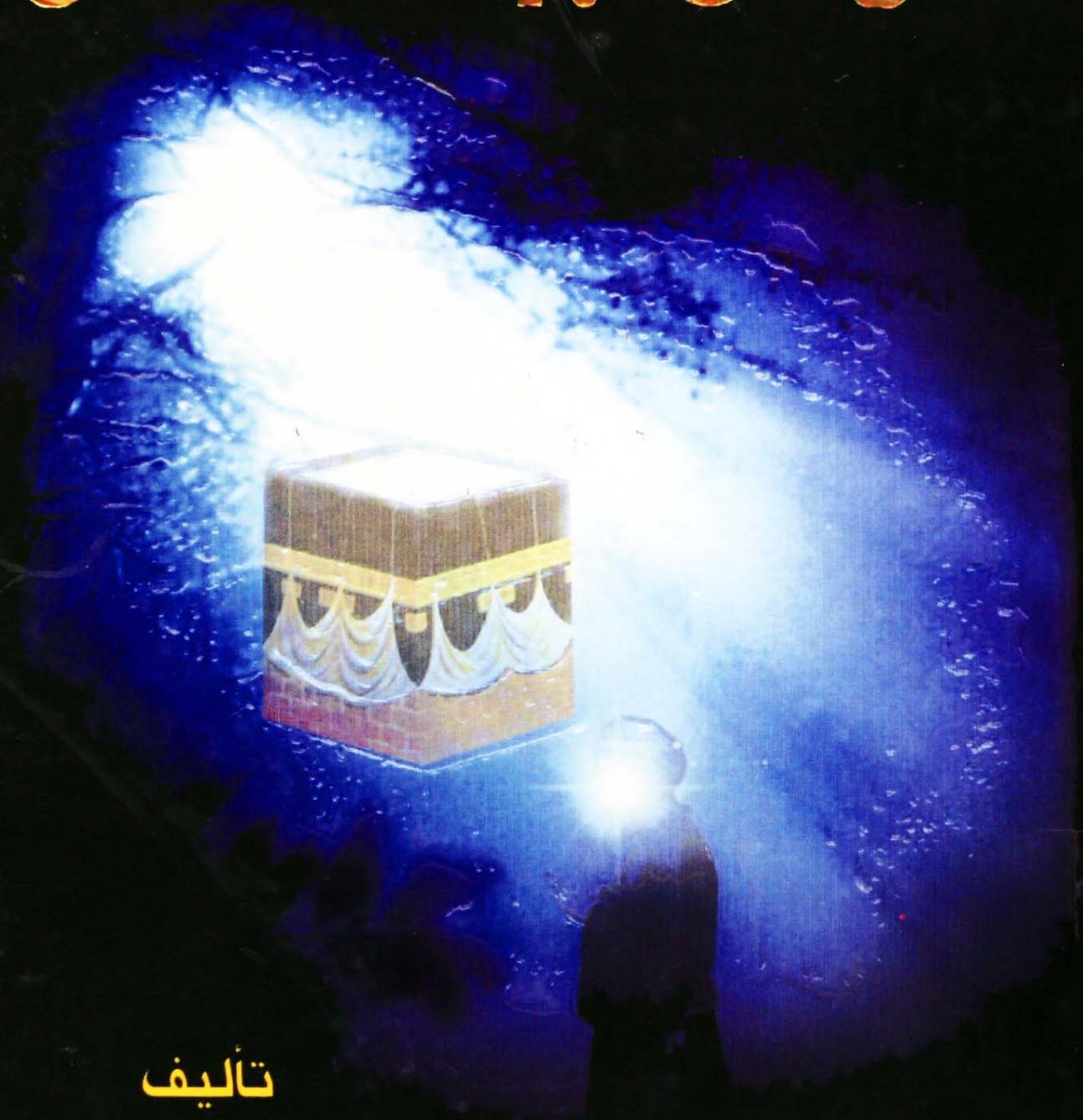


أبو طالب... موهن باستحقاق



تأليف
الدكتور علي الحداد
دار المحمد البيضا

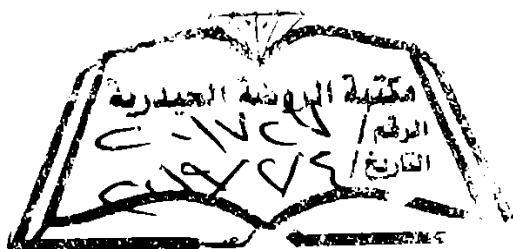
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبو طالب عليه السلام

مؤمن باستحقاق

الدكتور

علي العذاد



دار المحمد البيضاو

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفوظٌ
الطبعة الأولى

١٤٥٩ / ٨ / ٢٠٢٣

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٢٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٦٧ - E-mail: almahajja@terra.netlb - www.daralmahaja.com - info@daralmahaja.com



الحمد لله بما حمد الله به نفسه،
وبما حمد الله به عرشه وكرسيه ومن تحته



مقدمة الكتاب

و لا إله إلا الله بما هلل الله به نفسه، وبما هلل الله به سماواته وأرضه، وسبحان الله بما سبح الله به خلقه. وصلى الله على رسوله محمد بن عبد الله الصادق الأمين، صلاة تبلغنا بها رضوانك وجنتك، وتنجو بها من سخطك والنار، وصلى الله وسلم على آل المصطفين الأبرار، والمتقين الآخيار الذين أوجبت حقوقهم، وفرضت طاعتهم وولائهم، والذين خصصتهم بأفضل قسم الفضائل، وبلغتهم أفضل السؤدد ومحل المكرمين، وخصصتهم بالذكر المحمود والحضور المورود. اللهم أوردنـا حوضـه، واسقـنـا كـأسـه، واحشرـنـا في زـمرةـه غيرـ خـزـاياـ ولاـ نـادـمـينـ، ولاـ شـاكـينـ، ولاـ مـبـدـلـينـ، ولاـ نـاكـثـينـ، ولاـ مـرـتـابـينـ، ولاـ جـاحـدـينـ، ولاـ

مفتونين، ولا ضالين، ولا مضللين، قد رضينا الثواب وأمنا العقاب نزلاً من عندك إنك أنت العزيز الوهاب.

السلام عليك يا كافل محمد خاتم النبيين ﷺ، ويَا والد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ؓ، ويَا من ظهرت شفقته على رسول الله ﷺ، ويَا من اجتهد في تربية رسول الله. أشهد أنك أحسنت الكفالة، وأديت الأمانة، واجتهدت في مرضاه، وبالغت في حفظ رسول الله، عارفاً بحقه، مؤمناً بصدقه، معترفاً بنبوته، مستبصراً بنعمته، كافلاً بتربيته، مشفقاً على نفسه، واقف على خدمته، ومختاراً رضاه، ومؤثراً هواه. وأشهد أنك مضيت على الإيمان، والتمسك بأشرف الأديان، راض مرضى، وظاهر زكي، وورع تقى، فرضى الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة مثواك، ومنزلك ومأواك.

إنها صفحات ناصعة ومشرقـة من السيرة العطرة لمؤمن قريش «أبي طالب» ؓ، عم رسول الله ﷺ، الذي ما إن بعث الرسول ﷺ إلى البشرية هادياً ومبشراً ونذيراً حتى صدقه أبو طالب ؓ، وأمن بما جاء به من عند الله، ولكنه لم يظهر

إيمانه تمام الإظهار، بل كتمه حتى يتمكن من القيام بنصرة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه، ووالد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ. أنثر عبقها، وأضمخ أفتدة المتعطشين لمعرفة هذه الحقيقة بسحر وطراوة ندها وعطرها، لكي يعرفوا خصال وسمات هذا الرجل العظيم، ويزنوا إيمانه وتقواه، لترجح كفة ذوده وذبه ودفاعه عن رسول الله ﷺ في سجل إيمانه وشرفه، وطاعته وعبادته. إنه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبو طالب. فقد ناصبه القوم العداء بغضًا وحقًّا وعداؤه لابنه عليّ بن أبي طالب ﷺ، إذ لم يجدوا خلة أو ثغرة أو منقصة في عليٍّ فوسموه في أبيه، افتراء وبهتاناً وزوراً كما فعلوا بأبنائه وذراته من بعده، فشب عليها الصغير، وهرم عليها الشيخ الكبير، فكفروه، وأخرجوه من دين آبائه، وادعوا بأنه مات كافراً، وروجوا لهذه الفرية، ورسخوها في أذهان وأدمغة البسطاء، والسذج، حتى أصبحت عقيدة ودين، ومذهب ومبدأ، يتمسكون بها، ويقاتلون من أجل تشييدها وترسيخها، فصدقوا بها واستيقنوا أنفسهم.

فها أنا ذا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِإِذْنِ رَسُولِهِ ﷺ، أَرُومُ الْحَقِيقَةَ مِنْ
خَلَالِ هَذَا الْخُطَابِ الْمُتَوَاضِعِ، لِأَدْحُضَ هَذِهِ الْحَجَةَ الْوَاهِيَّةِ،
وَأَفْرِيَ هَذِهِ الْفَرِيَّةِ الْخَبِيثَةِ وَأَكْذِبُهَا، بِأَسْلُوبٍ رَاقِّ وَحَضَارِي
مِنَ الْحَوَارِ الْبَنَاءِ الْمُتَمَاسِكِ، تِبْيَانًا لِلْحَقِيقَةِ الْوَاضِحَةِ كَالشَّمْسِ
فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، وَكَشْفَهَا، وَإِزَالَةِ الشَّكِّ وَالرَّيْنِ وَالْغَمْوضِ فِي
إِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ أَبُو طَالِبٍ ؓ، وَإِثْبَاتِ حَقِيقَةِ إِيمَانِهِ وَوَرَعِهِ
وَتَقْوَاهُ بِالْأَدَلَّةِ الْقَطْعِيَّةِ، وَالثَّوَابِ الدَّامِغَةِ، وَالشَّوَاهِدِ الْلَّامِعَةِ
وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ. وَهَكُذا أَحَبَّتِي أَرَدْتُ مِنْ خَلَالِ هَذَا الْطَّرْحِ
أَنْ أَبْعَثَ بِرِسَالَةِ وَاضِحَّةٍ وَجْلِيَّةٍ، مُؤَدِّهَا أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَصُونَ
حَرَمةَ الْمُؤْمِنِ، وَنَرْفَعَ وَنَتْوَقِفَ عَنِ التَّجْرِيعِ وَالْإِهَانَةِ وَالْغَمْزِ
وَالْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، فَضْلًا عَنِ الْمُخْصِصَةِ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا
شَخْصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، قَامَتْ بِوَاجْبِهَا اتِّجَاهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَعَاصِدَتْهُ وَسَانَدَتْهُ فِي نَشَرِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

مُحَمَّدٌ ﷺ أَعْطَانَا دَرْسًا عَظِيمًا فِي هَذَا الْجَانِبِ، عِنْدَمَا^١
تَرَفَقَ بِأَهْلِ حَاتَمِ الطَّائِيِّ وَهُوَ كَافِرٌ، حِيثُ قَالَ لِابْنِتِهِ عِنْدَمَا
جَاءُوا بِسَفَانَةَ وَالنِّسَاءِ وَوَضَعُوهُنَّ فِي مَكَانٍ مُعِينٍ، فَخَرَجَ
النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ مَاضِيًّا إِلَى حَاجَةِ لَهُ، فَقَامَتْ لَهُ سَفَانَةُ

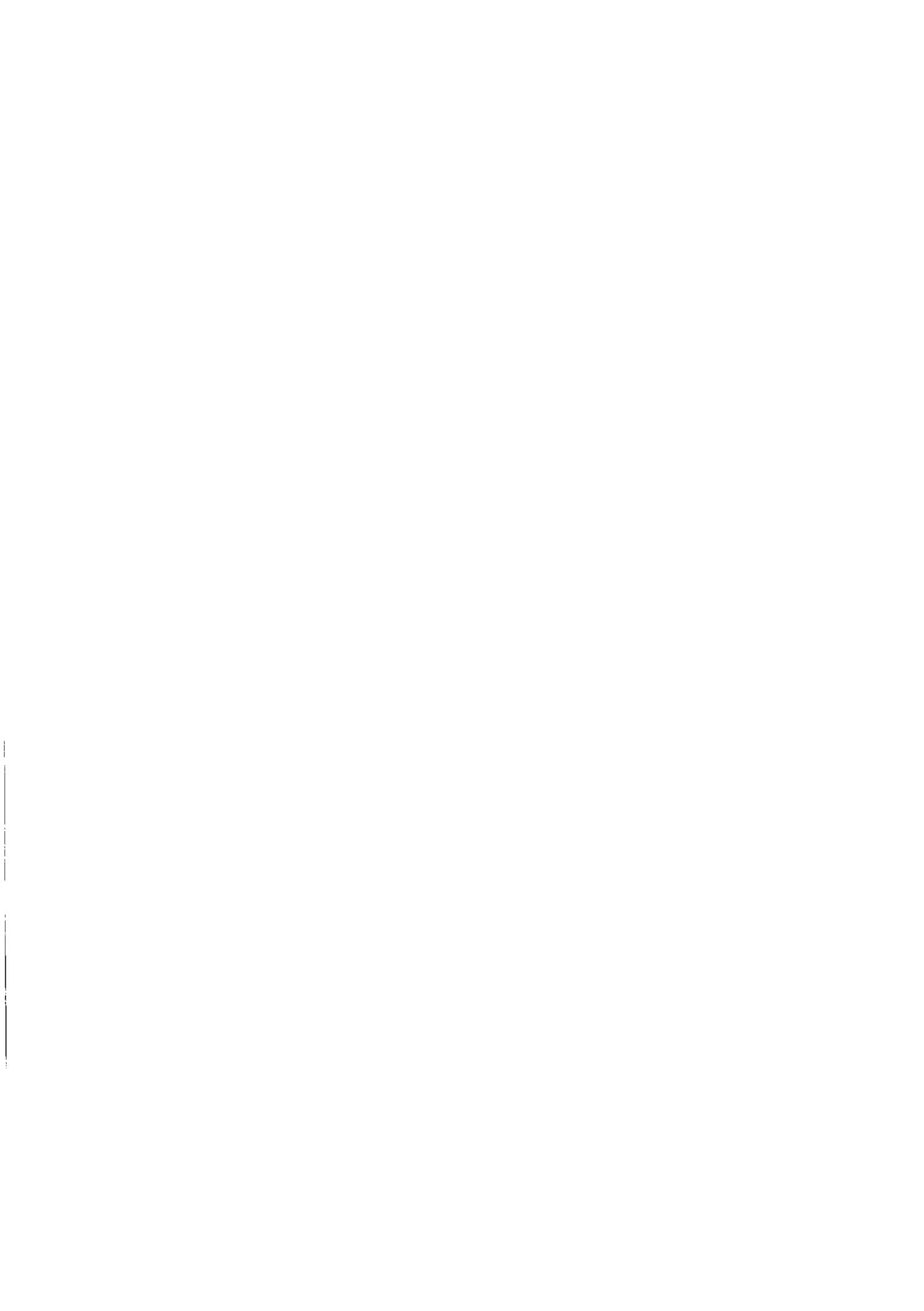
بنت حاتم الطائي، وقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، وأنا ابنة سيد قوم، قد كان أبي يقرى الضيف، وينصر المظلوم، ويعين الضعيف، فأحسن إلىي. فالتفت النبي ﷺ وقال: «هذه صفات مؤمن يعني أنه سيد الناس، ويقرى الضيف، وينصر المظلوم، هذه صفة مؤمن» فسألها: عن أبيها فقالت: أنا ابنة حاتم الطائي، فسأل عن مرادها بالوافد، فقالت: عدي بن حاتم. فقال: «الفار من الله ورسوله ليس رجلاً يقف فيحرب أو يسلم». فقال النبي ﷺ: «لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه». ثم سكت النبي ﷺ ومضى، فلما خرج إلى الصلاة، التي بعدها، فقامت سفانة وقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، وأبي كان سيد قومه، وأعادت نفس كلامها، فظن النبي امرأة أخرى، فقال: «من وافقك؟»، قالت: عدي بن حاتم. لقد كانت جريئة فقال النبي: مرة أخرى: «الفار من الله ورسوله»، ثم ذهب فلما كان اليوم الثالث، لم تقم وراء النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب ؓ فأشار إليها أن قومي، فقامت، وأعادت نفس كلامها، وكان النبي ﷺ لا يسأل الشيء ثلاث مرات إلا أعطاه إياه طالبه، ولقد كان يخجل ﷺ.

وأن النبي ﷺ إذا طولب ثلاث مرات فإنه سيوافق فقامت مرة أخرى فقالت مثل الأيام الماضية فسألها عن وافدها ثم قال لها: «أحسنا إليك إذا رأيت قافلة ذاهبة إلى طيء فأخبريني بعثك معهم ولك ولا ترجع كما قال تعالى: ﴿...ذلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾» وبعد أيام قالت: يا رسول الله هنا قافلة من قومي سيدذهبون إلى بلادنا فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وأعطتها بعيراً وأعطها زاداً وما لا وأحسن عليها أحسن إحسان وهي بنت أعدائه الذين فروا إلى الروم. ومع مشركي قريش وعلى رأسهم أبو سفيان الذين حاربوا رسول الله ﷺ وناصبوه العداء وأذاقوا المسلمين ألوان التعذيب والتنكيل، وعندما نصر الله رسوله ﷺ لم ينكروا بهم ولم يؤذوهם، بل قال لهم رسول الله ﷺ «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولم يقل لهم أنتم كافرون ولم يلمزهم أو يغمزهم، وهو يعلم ﷺ بأنهم ما آمنوا قط، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم وأفتدتهم وأجوفتهم طرفة عين، مع ذلك قبلهم.

فأحسب أن القوم لم ينسجو هذا الإفك على نول الجهل بترجم الرجال فحسب، ولأن لهم مأرباً في آباء

المهاجرين أسلموا أو لم يسلمو، أو أن لهم غاية في إسلام أبو سفيان، لكنهم زمروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصدية من تكفير سيد الأبطال شيخ الأئمة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما، وذلك بعد أن عجزوا عن الواقعة في الولد فوجهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين.





حياته

هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، وكنيته (أبو طالب)، ولقب «بمؤمن قريش»، وينادونه بـ «سيد البطحاء» و«شيخ قريش» و«رئيس مكة». وقد ولد قبل مولد النبي محمد ﷺ، بخمس وثلاثين سنة. وتزوج أبو طالب ﷺ فاطمة بنت أسد ﷺ، وهو أول هاشمي يتزوج بهاشمية من قريش. فولدت له أكبر أبنائه من الذكور (طالب) وبه يكتنى، و(عقيل)، و(جعفر)، و(علي) ﷺ، ومن الإناث (أم هاني) وأسمها (فاخته)، و(جمانة). وكانت فاطمة بنت أسد ﷺ بمنزلة الأم لرسول الله ﷺ، فقد ربي النبي ﷺ في حجرها، وكان يناديها بأمه، إذ كانت تفضله على أولادها في البر، وكان لأبي طالب زوجات آخريات غير (فاطمة بنت أسد) كما أورده البعض.

مات أخوه عبد الله بن عبد المطلب، والنبي محمد ﷺ
جنين في بطن أمه، وحينما ولد ﷺ كفله جده عبد المطلب
رضوان الله عليه. ولما حضرت عبد المطلب الوفاة، أوصى
ولده أبو طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياته وكفالتها، إذ
كان عمره الشريف ﷺ حينذاك ثمانين سنة، فكفله أبو طالب
ورباه وقام برعايته على أتم وجه. وكان أبو طالب يحب النبي
حباً شديداً، وفي بعض الأحيان إذا رأى النبي ﷺ يبكي
ويقول، (إذا رأيته ذكرت أخي عبد الله، إذ كان عبد الله أخيه
لأبويه). ولما بعث النبي محمد ﷺ إلى البشرية منذراً ومبشراً
بالدين الجديد (وهو الإسلام) صدقه أبو طالب ؓ، وأمن
بما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى، ولكنه لم يظهر إيمانه
تماماً الإظهار، بل كتمه لأسباب أمنية، واجتماعية كما نطلق
عليها اليوم بالمصطلح الحديث، وذلك حتى يتمكن من القيام
بنصرته والذود والدفاع عنه، وعن من أسلم معه. لم يكن
يعبد الأصنام، بل كان يعبد الله سبحانه وتعالى ويقدسه،
ويوحده على الدين القويم، العنيف الذي جاء به سيدنا
إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف التسليم.

وخير دليل على هذه الحقيقة الناصعة التي للأسف لم يرضى بها البعض من المسلمين، هي خطبته العصماء التي ألقاها عندما تقدم يطلب يد أم المؤمنين خديجة ابنة خويلد سلام الله عليها لابن أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله عليه قبل المبعث الشريف بخمسة عشر عاماً. وقد صرخ أبو طالب عما كان يجول في خاطره، ويختمر في دماغه، وفي قراره نفسه، وما يؤمن به في شعره ونثره الكثير، والتي جادت بها قريحته وهو الإقرار بالدين الحنيف، دين آبائه منذ أن خلق الله آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله عليه إلى أن جاء دور نبينا محمد صلوات الله عليه، والتصديق برسالة محمد صلوات الله عليه وبحقيقة وواقع هذا الدين. ومن ذلك الشعر الذي دلَّ على إيمانه وعقيداته، وحبه لمحمد صلوات الله عليه ومناصرته ومؤازرته هو:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك مخافة وابشر بذلك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت علينا قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا
لو لا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذلك مبينا

عوضاً عن الأحاديث والروايات المتواترة التي وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين الميمانين في شأن إيمانه وتقواه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - قال رسول الله ﷺ: «وصلتك رحم وجزيت خبراً ياعم، فلقد رببت وكفلت صغيراً، ووازرت ونصرت كبيراً»

٢ - روي أن علي بن الحسين السجاد عليهما السلام سُئل عن هذا الأمر وهو إيمان أبو طالب عليهما السلام، فقال «واعجباه»، إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد عليهما السلام من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات» (شرح نهج البلاغة ٢١٢/٢).

٣ - قال رسول الله ﷺ: «نزل علي جبرائيل عليهما السلام فقال: إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول: إني حرمت النار على صلب أنزلتك، وبطئ حملك، وحجر كفلتك» (رواية القاضي الشوكاني - المصدر: شرح نهج البلاغة ١٤/١٦ ط).

٤ - سُئل الإمام الباقر عليه السلام، عما يقوله الناس، أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال عليه السلام: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليه عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم» (شرح نهج البلاغة ٣١١/٣).

٥ - روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فأناهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأناته الله أجره مرتين» (شرح نهج البلاغة ٣١١/٢).

٦ - كتب أبان بن محمود إلى علي بن موسى عليه السلام «جعلت فداك، إني قد شكت في إسلام أبي طالب؟ فكتب إليه عليه السلام: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَتَسْتَعِفْ عَيْرَ سَيِّلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. «وبعدها إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك النار» (الفدير

(٣٨١/٧)

وخلال المرحلة السرية للدعوة، كثرت الإشاعات عن بشائر النبوة والرسالة والكتاب، وكثير الاهتمام بشخصية محمد بن عبد الله ﷺ واختلطت الأمور على بطون قريش، وزاد فضولها للوقوف على حقيقه الرجل، وحقيقة الإشاعات التي تنشر من حوله بذلك الوقت، وبالذات تلقى النبي أمراً إلهياً بإعلان دعوته، ويبدو جلياً من التسلسل المنطقى للأمور، أن النبي قد جمع الهاشميين في بيته أولاً، وأطلعهم على حقيقة النبأ العظيم، وأنه - وبأمر من ربه - عين في هذا الاجتماع ولبي عهده، والإمام من بعده، وانتهى الاجتماع بقرار البيت الهاشمى بحماية النبي وعدم تسليمه، وأعلن هذا القرار (عميد البيت الهاشمى) عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب. واجتماع الهاشميين في بيته لم يكن خافياً على بطون قريش المشبعة بالفضول للوقوف على حقيقة محمد ﷺ. ومن الطبيعي ان وقائع الاجتماع، انتشرت وشاعت بعد سويعات من انفلاطه، وهكذا وقفت بطون قريش على حقيقة ومجمل النبأ. وهذا شاهد آخر لصلابة أبي طالب في وقوفه أمام عتاة قريش ومردتهم وجهالهم في إظهار الدعم المطلق للنبي محمد ﷺ في دعوته ورسالته.

وكان من تهويتهم في تخفيف تلكم الوطأة، أن جروا ذلك حتى إلى والدي النبي الأكرم ﷺ، (وانحرافاً لهذا الهول والتثنيع)، حتى قال العاصمي في (زين الفتى) عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرتضى صلى الله عليهما وآلهما: أما تشبيه الآبوين في الحكم والتسمية، فإن النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفر إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه، وعلى هذا جمهور المسلمين إلا شرذمة قليلين لا يلتفت إليهم، فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه. فلم تفتأ هلم في ذلك جلبة ولغط مكابرین فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالته لصاحب الرسالة، ودرئه عنه كل سوء وعادية، وهتافه بدينه القويم، وخضوعه لناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونشره، ودفاعه عنه بكل ما يملكه من حول وطول.

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيشرب جس الحماما تكفل عبد مناف بأمرٍ وأودى فكان علي تماماً فقل في ثير مضى بعد ما قضى ما قضاه وأبقى شماما

فَلَلَّهُ ذَا فَاتِحًا لِّلْهُدَىٰ وَلَلَّهُ ذَا لِلْمُعَالَىٰ خَتَامًا
وَمَا ضَرَّ مَجْدًا بَيْ طَالِبٍ جَهُولٌ لِّغَا أَوْ بَصِيرٌ تَعَامِي
كَمَا لَا يَضُرُّ إِيَابَ الصَّبَاحِ مِنْ ظُنُونٍ ضَوْءَ النَّهَارِ الظَّلَامًا
هَذَا غَيْضٌ مِّنْ فَيْضٍ مِّنْ فَيْوضَاتِ أَبُو طَالِبٍ عليه السلام، الَّذِي
مَا فَتَئَ يَبْذِلُ النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ، وَمَا تَمْلَكَ يَدَاهُ، وَيَضْعُ الأَرْوَاحَ
عَلَى الْأَكْفَ منْ أَجْلِ إِقَامَةِ هَذَا الدِّينِ وَاكْتِمَالِهِ، جَنبًا إِلَى
جَنبِ مَعْ ابْنِ أَخِيهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ صلوات الله عليه وآله وسلامه. وَلَا نَتَصَوَّرُ هَنَا أَنَّ
الطَّرِيقَ مَعْبُدٌ، أَوْ مَفْرُوشَ بِالْوَرْدِ وَالرِّيَاحِينِ، أَنَّهُ طَرِيقُ ذَاتِ
الشَّوْكَةِ، مَلِيئٌ بِالْحَصْنِ وَالشُّوكِ، فِيهِ جَمْرٌ وَنَارٌ، يَحْتَاجُ إِلَى
تَحْضِيَاتِ جَسَامٍ، وَكَفَاحٍ مَرِيرٍ، وَصَمْدَ وَبِسَالَةٍ، وَصَبْرٍ
وَرِيقَنِينَ. كُلُّ هَذَا تَجْثِيمٌ عَنَاهُ أَبُو طَالِبٍ، وَمَاتَ دُونَهُ. هَذَا هُوَ
أَبُو طَالِبٍ عليه السلام سِيدُ الْأَبَاطِحِ الَّذِي مَا نَاءَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ بَارٍ
وَسَعِيٍّ مُشَكُورٍ فِي نَصْرَةِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه وَكَلَائِمَهُ وَالذَّبُّ عَنْهُ
وَالدُّعْوَةِ إِلَيْهِ وَإِلَى دِينِهِ الْحَنِيفِ مِنْذَ بَدَءَ الْبَعْثَةَ إِلَى أَنْ لَفْظَ أَبُو
طَالِبٍ نَفْسَهُ الْأَخِيرَ، وَقَدْ تَخَلَّ ذَلِكَ جَمْلٌ مِنَ الْقَوْلِ كُلُّهَا
نَصْوَصٌ عَلَى إِسْلَامِهِ الصَّحِيحِ، وَإِيمَانِهِ الْخَالِصِ، وَخَضْوعِهِ
لِلرَّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ. رَوَى الْقَوْمُ :

١ - قال ابن إسحاق: إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير، هب له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم لي؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأنخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً. قال: فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وتهيأ راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب، إليه يصير علمهم من كتاب فيهم، كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رأه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامه تظله ﷺ من بين القوم.

ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامه حتى أظلمت الشجرة وتهصرت، يعني تدللت أغصانها على رسول الله ﷺ فاستظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل

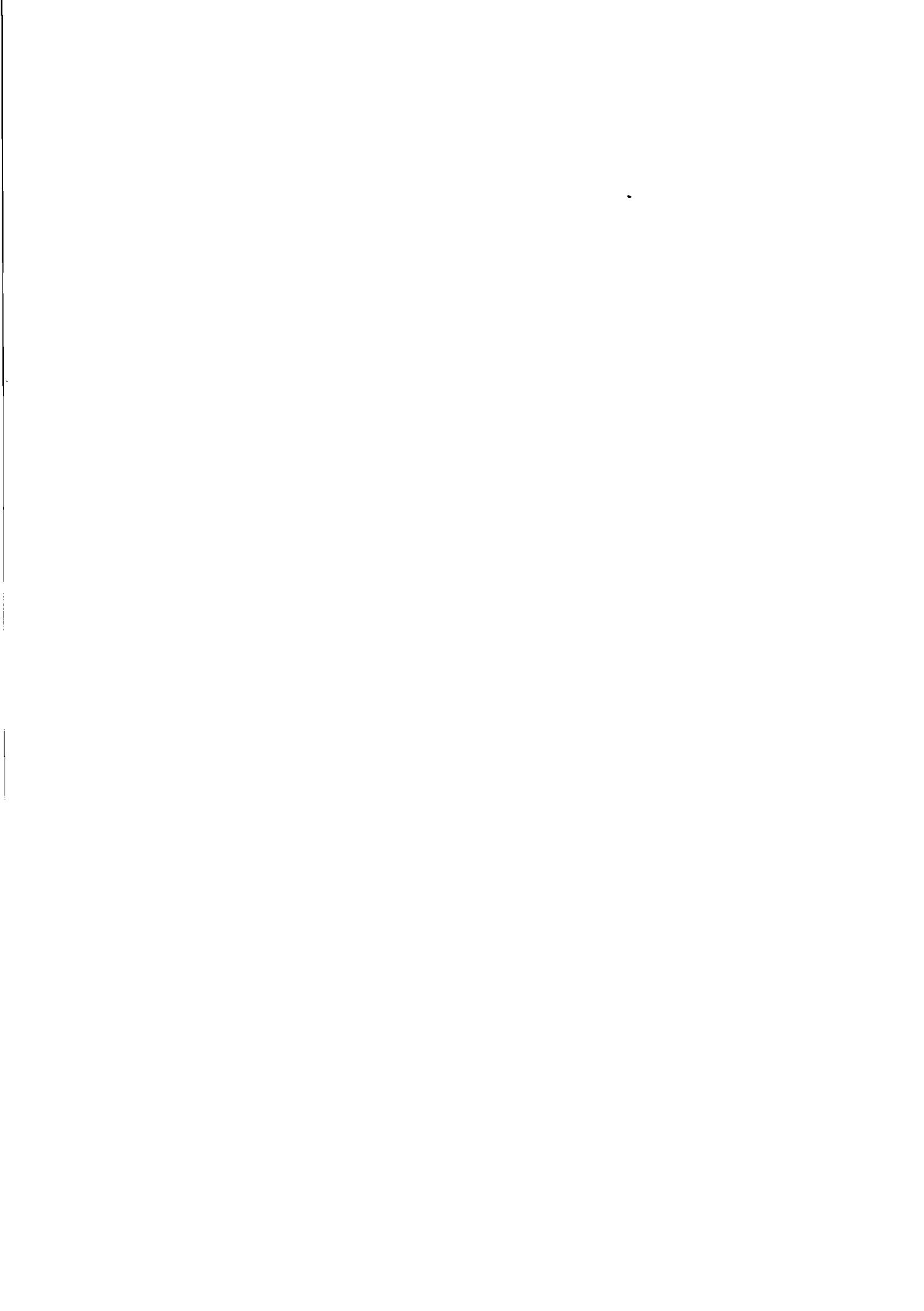
من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معاشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلّكم صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لذلك اليوم شأنًا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقولون، ولكنكم ضيوف فأحبيت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلّكم، فاجتمعوا إليه وتختلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة.

فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده، فقال: يا معاشر قريش لا يتختلف أحد منكم عن طعامي هذا، فقالوا: يا بحيرا ما تختلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنّاً تختلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش: واللات والعزى أن لهذا اليوم نبا.

أيليق أن يتختلف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا؟ ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم. فلما رأه

بحيراً جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفتة حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيراً فقال له: يا غلام أسائلك باللات والعزى إلا أخبرتني بما أسائلك عنه. قال رسول الله ﷺ: «لا تسلني باللات والعزى شيئاً قط»، فقال بحيراً: فبالله إلا ما أخبرتني بما أسائلك عنه. فقال: «سلني بما بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهبته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيراً من صفتة، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفتة التي عنده. الحديث.





شِعْرُ أَبْوَ طَالِبٍ ﷺ فِي مدح النَّبِيِّ
مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْكَعْوَةُ لِلَّهِ دِينُ الْإِسْلَامِي

أما أقوال أبي طالب ﷺ، فإليك عقوداً عسجدية من
شعره الرائق والبارع والرائع مثبتة في السير والتاريخ وكتب
ال الحديث. أخرج الحاكم في المستدرك (١) (٦٢٣/٢) بإسناده
عن ابن إسحاق قال: قال أبو طالب أبياتاً للنجاشي يحضره
على حسن جوارهم والدفع عنهم - يعني عن المهاجرين إلى
الحبشة من المسلمين:

لِيَعْلُمُ خَيَارُ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّداً
وَزِيرَ لَمُوسَى وَالْمُسِيحَ ابْنَ مَرِيمَ
أَتَانَا بِهِدِيٍّ مِثْلَ مَا أَتَيَاهُ
فَكُلْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ

وإنكم تتلونه في كتابكم
صدق حديث لا حديث المترجم
وإنك ما تأريك منها عصابة
بفضلك إلا أرجعوا بالتكريم
فبلغ عن الشحناه أبناء غالب
لويا وتيما عند نصر الكرام
لأن سيف الله والمجد كله
إذا كان صوت القوم وجي الغمام
ألم تعلموا أن القطيعة مائمه
وأمر بلاء قاتم غير حازم
وأن سبيل الرشد يعلم في غد
وأن نعيم الدهر ليس ب دائم
فلا تسفهن أحلامكم في محمد
ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
تمنيتكم أن تقتلوه وإنما
أمانكم هذى كأحلام نائم
وإنكم والله لا تقتلونه
ولما تروا قطف اللحى والغلاصم

ولم تبصروا والأحياء منكم ملاحماً
تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وتدعوا بأرحام أواصر بيننا
فقد قطع الأرحام وقع الصوارم
زعمتم بأننا مسلمون محمدًا
ولما نقاذف دونه وزاحم
من القوم مفضل أبي على العدى
تمكن في الفرعين من آل هاشم
أمين حبيب في العباد مسوم
بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
وما جاهل في قومه مثل عالم
نبي أتاه الوحي من عند ربه
ومن قال لا يقرع بها سن نادم
تطيف به جرثومة هاشمية
تذبذب عنه كل عات وظالم



ديوان أبي طالب (ص ٣٢)، شرح ابن أبي الحديد (٣/٣١٣) (٢). ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوتفك على قصتها قوله:

ألا أبلغ عنى على ذات بينها
لويا وختص من لؤي بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي رقشتم في كتابكم
يكون لكم يوماً كراغية السقب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلحسنا وبيت الله نسلم أحمساً
لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف
وأيد أترت بالمهندنة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا
به والضياع العرج تعكف كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته
ومعمدة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهى
إذا طار أرواح الكماة من الرعب

سيرة ابن هشام (١/٣٧٣)، شرح ابن أبي الحدب (٣)
/٣١٣)، بلوغ الأرب (١/٣٢٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١/
٢٦١)، الروض الأنف (١/٢٢٠)، تاريخ ابن كثير (٣/٨٧).
أسنى المطالب (ص ٦، ١٣)، طلبة الطالب (ص ١٠) (٦).
ومن شعره قوله:

ألا مالهم آخر الليل معتم
طوانى وأخرى النجم لما ت quam
طوانى وقد نامت عيون كثيرة
وسامر أخرى قاعد لم ينوم
لأحلام أقوام أرادوا محمداً
بظلم ومن لا يتقي البغي يظلم
سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم
على خائل من أمرهم غير محكم
رجاة أمور لم ينالوا نظامها
وإن نشدوا في كل بدو وموسم
يرجون منا خطة دون نيلها
ضراب وطعن بالوشيج المقوم
يرجون أن نسخي بقتل محمد
ولم يختضب سمر العوالى من الدم
كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا
جامجم تلقى بالحميم وزموم
وتقطع أرحام وتنسى حلية
حليلاً ويغشى محرم بعد محرم

وينهض قوم بالحديد إليكم
 يذبون عن أحسابهم كل مجرم
 هم الأسد أسد الزارتين إذا غدت
 على حنق لم تخش إعلام معلم
 فيا لبني فهر أفيقوا ولم تقم
 نوائح قتلى تدعى بالتسدم
 على ما مضى من بغيكم وعقوبكم
 وغشيانكم في أمرنا كل مأتم
 وظلمنبي جاء يدعو إلى الهدى
 وأمرأتى من عند ذي العرش قيم
 فلا تحسونا مسلمه ومثله
 إذا كان في قوم فليس بمسلم
 فهذا معاذير وتقديمة لكم
 لكيلا تكون الحرب قبل التقدم



ديوان أبي طالب (٥) (ص ٢٩)، شرح ابن أبي الحديد
 (٣١٢/٣). قوله مخاطباً للنبي الأعظم ﷺ:

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمِيعِهِمْ
حَتَّىٰ أُوْسِدَ فِي التَّرَابِ دُفِينًا
فَاصْدِعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ
وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقْرَ مِنْكَ عَيْوَنًا
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ
وَلَقَدْ دَعَوْتَ وَكُنْتَ ثُمَّ أَمِينًا
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ

مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِيَنَا
رَوَاهَا الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَقَالَ: قَدْ اتَّفَقَ عَلَىٰ صَحَّةِ نَقْلِ
هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَنْ أَبِي طَالِبٍ: مُقَاتِلٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
وَالْقَسْمِ بْنِ مُحَضْرَةٍ، وَعَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ. رَاجِعٌ: (٢) خَزَانَةُ
الْأَدْبِ لِلْبَغْدَادِيِّ (١/٢٦١)، تَارِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ (٣/٤٢)،
شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ (٣/٦٠)، تَارِيخُ أَبِي الْفَدَا (١/١)
(١٢٠)، فَتْحُ الْبَارِيِّ (٧/١٥٣، ١٥٥)، الإِصَابَةُ (٤/١١٦)،
الْمَوَاهِبُ الْلَّدْنِيَّةُ (١/٦١)، السِّيَرَةُ الْحَلْبِيَّةُ (١/٣٥)، دِيَوَانُ
أَبِي طَالِبٍ (ص ١٢) طَلْبَةُ الطَّالِبِ (ص ٥) بِلُوغِ الْأَرْبَ (١/١)
(٣٢٥)، السِّيَرَةُ النَّبُوَيَّةُ لِزَيْنِيِّ دَحْلَانَ هَامِشُ الْحَلْبِيَّةُ (١/٩١)
(٢١١)، وَذَكْرُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ فِي أَسْنَىِ الْمَطَالِبِ (ص ٦)

فقال: عَذَّةُ الْبَرْزَنِجِيِّ مِنْ كَلَامِ أَبِيهِ طَالِبِ الْمَعْرُوفِ. لَفْتَ نَظَرَ: زَادَ الْقَرْطَبِيُّ وَابْنَ كَثِيرَ فِي تَارِيخِهِ عَلَى الْأَبِيَاتِ:

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِي سَبَةٌ لَوْجَدْتَنِي سَمِحًا بِذَاكَ مِبِينَا



قال السيد أحمد زيني دحلان في أنسى المطالب (١) (ص ١٤): فقيل إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه. قال الأميني: هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب ﷺ فإن أقصى ما فيه أن العار والسبة، اللذان كان أبو طالب ﷺ يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث ﷺ إنما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين، وهو صريح قوله: لَوْجَدْتَنِي سَمِحًا بِذَاكَ مِبِينَا، أي مظهراً، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها بأن دين محمد ﷺ من خير أديان البرية ديناً، وأنه ﷺ صادق في دعوته أمين على أمته. ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذبه قريش ونالت منه:

أمن تذكر دهر غير مأمون
أصبحت مكتئباً تبكي كمحزون
أم من تذكر أقوام ذوي سفه
يغشون بالظلم من يدعوا إلى الدين
ألا ترون أذل الله جمعكم
إنا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغى مضيمنا
 بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها
يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تقر رجال لا حلوم لها
بعد الصعوبة بالأسماح واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب
على نبي كموسى أو كذى النون
ومن شعره يمدح النبي الأعظم :

أنت النبي محمد قرم أغرا مسود
لمسودين أكارم طابوا وطاب المولد

نعم الأرومة أصلها عمرو الخضم الأول
 هشم الربيبة في الجفان وعيش مكة أنكدر
 فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تشد
 ولنا السقاية للحجيج هايمات العنجد
 والمأزان وما حوت عرفاتها والمسجد
 أئنِ تضام ولم أمت وأنا الشجاع العريد
 ويطاح مكة لا يرى فيهان جميع أسود
 وبينوأبيك كأنهم أسد العرين توقدوا
 ولقد عهدتك صادقاً في القول لا يتزيد
 ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد
 جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد
 وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكتفه
 فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا ببني غالب وانتهوا
 عن الغيّ من بعض ذا المنطق
 وإلا فإنني إذن خائف
 بوقايق في داركم تلتقي

تكون لغيركم عبرة
 ورب المغارب والمشرق
 كما نال من كان من قبلكم
 ثمود وعاد وماذا بقي
 غداة أتاهم بها صرصر
 وناقة ذي العرش قد تستقي
 فحل عليهم بها سخطه
 من الله في ضربة الأزرق
 غداة بعض بعرقوبها
 حساماً من الهند ذا رونق
 وأعجب من ذاك في أمركم
 عجائب في الحجر الملصق
 بكف الذي قام من خبته
 إلى الصابر الصادق المتقي
 فأثبته الله في كفه
 على رغمه الجائر الأحمق
 أحيمق مخزومكم إذ غوى
 لغى الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب (١) (ص ١٣)، شرح ابن أبي الحميد (٣١٤/٣). قال ابن أبي الحميد في شرحه (٣) (٣١٤): قالوا: وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رَحْمَةُ اللَّهِ أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول الملك ببيض تلاؤ كلمع البروق
أذب وأحمي رسول الإله حماية حام عليه شفيف
وما إن أدت لأعدائه دبيب البكار حذار الفنيق
ولكن أزير لهم ساميًا كما زار ليث بغيل مضيق
وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه (٥) (ص ٢٤). ولسيدنا أبي طالب أبيات كتبها إلى النجاشي بعدما خرج عمرو بن العاص إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي. يحرض النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عن ما يقوله عمرو منها:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر
وعمر وآباء النبي الأقرب
وهل نال إحسان النجاشي جعفرًا
وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب

أتعلم أبيت اللعن أنك ماجد
كريم فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم أن الله زادك بسطة
وأسباب خير كلها بك لازب

تاریخ ابن کثیر (٢) (٧٧/٣)، شرح بن أبي الحیدید
(٣١٤/٣). قال ابن أبي الحیدید في شرحه (٣) (٣١٥/٣):
ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً، ويسكن
جأشه، ويأمره بإظهار الدعوة:

لا يمنعنک من حق تقویم به
أيد تصویل ولا سلق بأصوات
فإن كفک کفی إن بهم ملیت
ودون نفسک نفسی فی الملمات

قال ابن هشام (٥): ولما خشي أبو طالب دھماء العرب
أن يركبوه مع قومه قال قصيده التي تعوذ فيها بحرم مكة
وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم
وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا
تارکه لشيء أبداً، حتى يهلك دونه، فقال أبو طالب:

خليلي ما أذني لأول عاذل
بصغواه في حق ولا عند باطل
ولما رأيت القوم لا ود فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة
بعضون غبيطاً خلفنا بالأأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحـة
وابيض عصب من تراث المقاول
أعوذ برب الناس من كل طاعن
عليـنا بسوء أو ملحـ بباطل
ومن كاشح يسعـى لنا بمعيبة
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسـى ثبـيراً مكانـه
وراقـ ليـرقـ في حرـاء وـناـزل
وبـالـبيـتـ حقـ الـبيـتـ منـ بـطـنـ مـكـةـ
وبـالـ اللهـ إـنـ اللهـ لـيـسـ بـغـافـلـ

وبالحجر المسود إذ يمسحونه
إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل
كذبتم وبيت الله نترك مكة
ونظعن إلا أمركم في بلايل
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهب عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الظفن يركب
ردعه من الطعن فعل الأنكب المتعامل
وانا لعمر الله إن جد ما أرى
لتلتبس أسيافنا بالأمثال
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع
 أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهرأ وأياماً وحولاً مجرماً
عليينا وتأتي حجة بعد قابل

وما ترك قوم - لا أباً لك - سيداً

يحوط الذمار غير ذرب مواكل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامي عصمة للأرامل

يلوذ به ال�لاك من آل هاشم

فهم عنده في رحمة وفواضل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة

له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا

بني خلف قيضا بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم

وآل قصي في الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا

علينا العدا من كل طمل وحامل

فعبد مناف أمنتم خير قومكم

فلا تشركوا في أمركم كل واغل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب

لدينا لا نعبا بقول الأباطل

أشم من الشم البهاليل ينتمي
إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد
وأحبته حب الحبيب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وزيناً لمن والاه رب المشاكل
فأصبح فينا أحمد في أرومة
تفصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنيسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر ديناً حقه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته (١) (٢ - ٢٩٨)، أربعة وتسعين بيتاً وقال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة. وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه (٣) (٥٣ - ٥٧)، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال (ص ٥٧) قلت: هذه

قصيدة عظيمة بلية جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت
 إليه، وهي أفحى من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى
 فيها جميعها، وقد أوردها الأموي في مغازييه مطولة بزيادات
 آخر والله أعلم. وذكرها أبو هفان العبدى في ديوان أبي
 طالب (٤) (ص ٢ - ١٢) في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلها تمام
 القصيدة. وقال ابن أبي الحميد في شرحه (٥) (٣١٥/٣) بعد
 ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكل هذه الأشعار قد جاءت
 مجيبة التواتر، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل
 على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها
 متواتر كما أن كل واحدة من قلات على ﷺ الفرسان منقوله
 آحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروري بشجاعته،
 وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف
 ومعاوية وذكاء أياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك. قالوا:
 واتركوا هذا كله جانباً، ما قولكم في القصيدة اللامية التي
 شهرتها كشهرة قفا نبك؟

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (١) (٢٢٧/٢):
 قصيدة جليلة بلية من بحر الطويل، وعدة أبياتها مائة وعشرة

أبيات، قالها لما تماً قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الإسلام وذكر منها في المواهب اللدنية (٢) (٤٨/١)، أبياتاً فقال: هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه. وقال العيني في عمدة القاري (٣): (٤٣٤/٣) قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها:

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل
وذكر منها البغدادي في خزانة الأدب (٤) (٢٥٢/١) -
٢٦١) اثنين وأربعين بيتاً مع شرحها، وقال: أولها:

خليلي ما أذني لأول عاذل بصغواء في حق ولا عند باطل
خليلي إن الرأي ليس بشركة ولا ننهه عند الأمور البلايل
قال رسول الله ﷺ: «لا تسألني باللات والعزى شيئاً
قط»، فقال بحيرا: فباليه إلا ما أخبرتني بما أسألك عنه.
فقال: «سلني بما بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من نومه
وهبنته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من
صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على

موضعه من صفتة التي عنده. الحديث: فقال أبو طالب في ذلك:

إن ابن آمنة النبي محمدأ عندي يفوق منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته والعيس قد قلصن بالأزواد
فارفض من عيني دمع ذارف مثل الجمان مفرق الأفراد
راعيت فيه قرابة موصلولة وأمرته بالسير بين عمومة
ساروا لأبعد طيبة معلومة بيض الوجوه مصالت أنجاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا فلقد تباعد طية المرتاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً لاقوا على شرك من المرصاد
قوم يهود قد رأوا لما رأى عنه ورد معاشر الحсад
ثاروا لقتل محمد فنهاهم عنه وجاهد أحسن التجهاد
فشنى زبيراً من بحيرا فانشنى ظل الغمام وعن ذي الأكباد
ونهى دريساً فانتهى عن قوله حبر يوافق أمره برشاد

وقال أيضاً:

ألم ترني من بعدهم هممته بفرقة حر الولدين حرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي برحلي وقد ودعته بسلام

بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا وأخذت بالكفين فضل زمام ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة تجود من العينين ذات سجام فقلت : ترحل راشداً في عمومة مواسير في البأساء غير لئام فجاء مع العير التي راح ركبها شامي الهوى والأصل غير شام فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا لنا فوق دور ينظرون جسام فجاء بحيرا عند ذلك حاشداً فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا فقلنا جمعنا القوم غير غلام يتيم فقال ادعوه إن طعامنا فلولا الذي خبرتم عن محمد لكنتم لدينا اليوم غير كرام فلما رأه مقبلاً نحو داره حنا رأسه شبه السجود وضمه وأقبل ركب يطلبون الذي رأى فشار إليهم خشيةً لعراهم دريس وتمام وقد كان فيهم فجاوزوا وقد هموا بقتل محمد وقال لهم رمتهم أشد مرام بتأويله التوراة حتى تيقنوا أتبغون قتلاً للنبي محمد خصصتم على شؤم بطول أيام وإن الذي نختاره منه مانع سيكفيه منكم كيد كل طغام

فذلك من أعلامه وبيانه وليس نهار واضح كظلام
ديوان أبي طالب (١) (ص ٣٣ - ٣٥)، تاريخ ابن عساكر
(٢) (٢٦٩/١ - ٢٧٢)، الروض الأنف (٣) (١٢٠/١). وذكر
السيوطى الحديث من طريق البيهقى في الخصائص الكبرى
(٤) (٨٤/١) فقال في (ص ٨٥): وقال أبو طالب في ذلك
أبياتاً منها:

فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلو غم كل فؤاد
وحتى رأوا أخبار كل مدينة سجوداً له من عصبة وفراد
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً دريساً وهموا كلهم بفساد
قال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرھط الذين تهودوا وجاهدهم في الله كل جهاد
قال ولم يترك له النصح رده فإن له إرصاد كل مصاد
فإنني أخاف الحاسدين وإنه لفي الكتب مكتوب بكل مداد
استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ: أخرج ابن عساكر في
تاريخه في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة
وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي،
وأجدب العيال، فهلم واستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام

كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابه قتماء وحوله أغبلمة،
فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكتيبة، ولاذ بإصبعه الغلام،
وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا،
وأغدق وأغدو دق، وانفجر له الوادي، وأخصب الباقي
والنادي، وفي ذلك قول أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل
يلرذ به الهايكل من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة وزان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني (٢٢٧/٢)، المواهب اللدنية
(٤٨/١)، الخصائص الكبرى (١٢٤/٨٦)، شرح بهجة
المحافل (١١٩/١)، السيرة الحلبية (١٢٥/١)، السيرة النبوية
لزيني دحلان هامش الحلبية (٨٧/١)، طلبة الطالب (ص
٤٢) (١). ذكر الشهرياني في الملل والنحل (٢) بهامش
الفصل (٢٢٥/٣) سيدنا عبد المطلب وقال: ومما يدل على
معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم
ذلك الجدب العظيم، وأمسك السحاب عنهم ستين، أمر أبا
طالب ابني أن يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو

رضيع في قماط، فوضعه على يديه واستقبل الكعبة رماه إلى السماء وقال: يا رب بحق هذا الغلام. ورماه ثانيةً وثالثاً. وكان يقول: بحق هذا الغلام اسكننا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً. أن يلبت ساعة طبق السحاب وجه السماء وأمطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبو طالب ذلك الشعر الأمي الذي منه: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثم اليتامى عصمة للأرامل ثم ذكر أبياتاً من القصيدة، ولا يخفى على الباحث أن القصيدة نظمها أبو طالب عليهما السلام كونه في الشعب كما مر. فاستسقاء عبد المطلب وابنه سيد الأبطح بالنبي الأعظم يوم كان عليهما رضيعاً يافعاً يعرب عن توحيدهما الخالص، وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من أول يومه، ولو لم يكن لهما إلا هذان الموقفان لكتفيهما، كما يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما بالإيمان.

أبو طالب في مولد أمير المؤمنين عليهما السلام:

عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله عليهما السلام، عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: «لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليهما السلام، إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من

نوري، وخلقني من نوره، وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عَزَّزَ نقلنا من صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أصلاب طاهرة، إلى أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة. واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد». وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبو طالب، فلما بصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال: من أنت؟ فقال: رجل من تهامة. فقال: من أي تهامة؟ فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبل رأسه ثم قال: يا هذا إن العلي الأعلى ألهمني إلهاماً، قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله جل وعلى. فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشρقت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رب هذا الغسق الْجُيُّ والقمر المنبلج المضي
بين لنا من أمرك الخفي ماذا ترى في اسم ذا الصبي

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي خصصتم بالوالد الزكي
إن اسمه من شامخ العلي على اشتق من العلي
أخرجه الحافظ الكنجي الشافعى في كفاية الطالب (ص
٢٦٠) وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ
الشافعى، وتفرد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد
وهو معروف عندنا.

بدء أمر النبي ﷺ وأبو طالب: أخرج فقيه الحنابلة
إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه نهاية الطلب
وغاية المسؤول في مناقب آل الرسول، بإسناده عن طاوس،
عن ابن عباس في حديث طويل: أن النبي ﷺ قال
للعباس رضي الله عنه: «إن الله قد أمرني بإظهار أمري، وقد أنباني
واستنباني بما عندك؟» فقال له العباس: يا بن أخي تعلم أن
قرضاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة
كانت الطامة الطماء، والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس
واحد، وانتسفونا نسفاً، صلتاً، ولكن قرب إلى عمك أبي
طالب، فإنه كان أكبر أعمامك أن لا ينصرك لا يخذلك ولا

يسلمك، فأتياه، فلما رأهما أبو طالب قال: إن لكما لظنة
وخبرأ، ما جاء بكم في هذا الوقت؟ فعرفه العباس ما قال له
النبي ﷺ وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له:
أخرج يا بن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنعن حزباً، والأعلى
أباً، والله لا يسلفك لسان إلا سلقته السن حداد، واجتبته
سيوف حداد، والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها،
ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميماً، ولقد قال: إن من صليبي
لنبياً، لوددت أنني أدركت ذلك:

فإنني والضوابع عاديات وما تتلو السفاسرة الشهور
لآل محمد راعٍ حفيظ وود الصدر مني والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ولو جرت مظلالمها الجзор
أيأمر جمعهم أبناء فهر بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ولا أمت رشاداً إذ تشير
بني أخي ونوط القلب مني وأبيض ماؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ريا وأحمد قد تضمنه القبور
أيا بن الأنف أنفبني قصي كأن جبينك القمر المنير



قال شيخنا العلامة المجلسي في البحار (٣١/٩) : روى
جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر
مرسلاً ثم ذكر الأشعار هكذا، فذكر الأشعار وفيها زيادة
عشرين بيتاً على ما ذكر، وهي لا توجد في الديوان المطبوع
لسيدنا أبي طالب. وقال السيد فخار بن معد في كتابه الحجة
(٥) (ص ٦١) : وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد
الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي - وكان
من يرى كفر أبي طالب ويعتقد أنه - بواسط العراق سنة إحدى
وتسعين وخمسين بحسب إسناد له إلى الواقدي، وأن أبو طالب قال
لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به رسول الله علام نحصر
ونحبس، وقد بان الأمر وتبيّن أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟
ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا
على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، وستحل ما يحرم عليه منا.
وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة

فقال أبو طالب:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا
على نأيهم والله بالناس أرود

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
وأن كل مالم يرضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
فطائرها في رأسها يتrepid
وكانت كفاء وقعة بأئيمه
ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظعن أهل المكتين فيهربوا
فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراك يقلب أمره
أيتها فيها عند ذاك وينجد
وتصعد بين الأخشبين كتبة
لها حدق سهم وقوس ومرهد
فمن ينش من حضار مكة عزه
فعرتنا في بطن مكة أتلد
نثأنا بها والناس فيها قلائل
فلم تنفك نزداد خيراً ونحمد

ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا
على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
أuan عليها كل صقر كأنه
إذا ما مشى في رفرف الدرع أحمرد
ألا إن خير الناس نفسها ووالدا
إذا عدسات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله
وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جريء على جلى الخطوب كأنه
شهاب بكفي قابس يتقد
من الأكرمين من لؤي بن غالب
إذا سيم خسفاً وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه
على وجهه يسكن الغمام ويسعد

عظيم الرماد سيد ابن سيد
يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبني لأبناء العشيرة صالحًا
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
ألفاظ بهذا الصلح كل مبرأ
عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليهم ثم أصبحوا
على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً
وسرا أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأقوام في جل أمرنا
وكنا قديماً قبلها نتعدد
وكنا قديماً لا نقر ظلامة
وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيال قصي هل لكم في نفوسكم
وهل لكم فيها يجيء به غد
فأني وإياكم كما قل قائل
لديك البيان لو تكلمت أسود

هذه القصائد العسجدية والماضية التي صاغها أبو طالب عليه السلام بقريحة نقية عفوية المعية، وبسجية ناصعة البياض، وظاهرة وعفيفة، غايتها الشرف والعقيدة والإيمان والتقوى، لا يريد جاهًا، ولا أجراً، ولا مالاً، ولا سمعة، ورياء، ولا عصبية، وكرسي ولا زعامة، إنما يناله التقوى والثواب من الله سبحانه وتعالى. وهذا لعمري جلي، وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار، أن من نظم ونضد وأقرض هذا الشعر الغض الطري النظيف النقى هو لاشك ولا ريب مؤمن بالسليقة والفطرة، لا يجامل ولا يداهن ولا تأخذه في الله لومى لائم. أبعد كل هذا، هل لنا لسان يقرُ أو شفتين تتممْ أن أبو طالب مات كافر؟



الدليل على إيمان أبو طالب عليه السلام

لا يوجد دليل واحد فقط على إيمان أبو طالب عليه السلام، بل يوجد مئات الأدلة الدامغة على إيمانه المطلق، ورسوخ عقيدته وثباتها، وتصديقه برسالة محمد صلوات الله عليه وسلم، بل الدفاع عن بيضة الإسلام، والذود عن حياضه. مواقفه النبيلة تجاه هذا الدين، ومشاعره الجياشة التي تشيد بالدين الإسلامي في كل محفل ومشهد، وتعبر عما يختلخ في قلبه من مشاعر وأحاسيس نحو هذا الدين القويم، وما يختمر في ذهنه من خطط وأساليب لنشر هذا الدين، ودفاعه المستميت عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم، وتضحيةه بالغالي والنفيس له، وبذل الأنفس والمهج من أجل الحفاظ على حياة رسول الله صلوات الله عليه وسلم. كل هذه المواقف النبيلة، والتضحيات الجسيمة تعطي دلالة واضحة

وجلية على إيمان أبو طالب عليه السلام، وحبه وشغفه بالإسلام. فعندما لاحت بشائر الإسلام، وأضاءت أنواره، كان أبو طالب عليه السلام من أنذر وبشر به من قبل الرسول العظيم عليه السلام حين أمره ربه بأن ينذر ويدعو عشيرته وأهله قبل الناس، حيث قال عز من قائل: «وانذر عشيرتك الأقربين» فهو من رهطه وعشيرته ومن ذريته. ذات يوم بينما كان رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم يصلي قال قائل من قريش: انظروا إلى هذا المرائي، ألا تنظرون إليه؟ ثم طلب أن يؤتني له بفترث ودم وسلا ناقة تابعة لأحد رجال مكة، وبعد أن سجد رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم وضع هذا الرجل أمعاء الناقة وفرثها ودمها على رأس النبي صلی اللہ علیہ وسلم وبين كتفيه، وظلّ الرسول صلی اللہ علیہ وسلم ساجداً، وضحك منه رجال مكة وهو ساجد يطيل السجود وكل هذه القاذورات التي وضعوها على رأسه موجودة. فانطلق رجل إلى فاطمة الزهراء عليه السلام فأخبرها بما يحدث في الحرم، فأقبلت فاطمة عليه السلام تزيل عن رأس النبي صلی اللہ علیہ وسلم ما وضعوه، فلما فرغ النبي صلی اللہ علیہ وسلم من صلاته قال: اللهم عليك بقريش اللهم، عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم قال: اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة،

وأميرة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.
وقد بينت الروايات الصحيحة أن الذي رمى الرفت على
رسول الله ﷺ هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرضه هو
أبو جهل. ولما سمع عمه أبو طالب ؓ خبر رمي الرفت
والدم والسلا على ابن أخيه رسول الله ﷺ، زأر، وارتعش
بدنه من شدة الغضب، فجاء مسرعاً، وجمع الرفت والدم
والسلا ووضعه على رأس عقبة بن معيط ومرغ بدنه بها
وجسده، نكالا به ل فعلته الشنيعة برسول الله ﷺ أمام مرأى
ومسمع من رسول الله ﷺ، وقال له هل رضيت يا ابن أخي.

يا رسول الله. كان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع
عمه أبي طالب، حيث كان عبد المطلب دائماً ما يوصي به
عمه أبا طالب، وذلك لأن عبدالله والد رسول الله ﷺ وأبا
طالب أخوان لأب وأم، أمهما فاطمة بنت عمرو ابن عائذ بن
عبد بن عمران بن مخزوم. قال ابن هشام: عائذ بن عمران
بن مخزوم ولاده أبي طالب لأمر رسول الله ﷺ قال ابن
إسحاق: وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ
بعد جده. قال ابن إسحاق: إن أبا طالب خرج في ركب
تاجراً إلى الشام، فلما تهأ للرحيل، وأجمع المسير، صب به

رسول الله ﷺ، فرق له أبو طالب وقال: والله لا يخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، فخرج به معه. فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له «بحيرا» في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم ينزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يزعمون عن شيء رأه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته، في الركب حين أقبلوا، وغمامه تظله من بين القوم.

قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه. فنظر إلى الغمامه حين أظلت الشجرة، وتهضرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها؛ فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام، فصنع ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا عشر قريش، فأنا

أحب أن تحضروا كلّكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحرّكم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا إن لك لشأنًا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببتم أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلّكم. فاجتمعوا إليه، وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحدثة سنّه، في رحال القوم تحت الشجرة؛ فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معاشر قريش، لا يتخلّفون أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا، ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنّاً، فتخلّف في رحالهم؛ فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من يبتنا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رأه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفتة، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا، فقال له: يا غلام، أسألك بحق

اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؛ وإنما قال له بحيرا ذلك، لأنه سمع قومه يحلقون بهما. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وحياته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفتة، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفتة التي عنده. قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم. قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي؟ قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به؛ قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليغنه شرّاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فاسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارتة بالشام؛ فرّعما فيما روى الناس: أن زريراً وتماماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رأه بحيرا في ذلك السفر، الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوا بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه.

شب رسول الله ﷺ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ رجلاً، وأفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرماً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، والخصال الحميدة.

قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه: سمعت أمير المؤمنين «علي» صلوات الله وسلامه عليه يقول: والله ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له:

فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه متمسكين به.

إنه لغريب حقاً أن نقرأ في مصادر المسلمين وصحابهم أن آباء النبي عليه وأجداده كانوا مشركين تارة، أو أنهم كانوا في فترة انقطاع الرسل، وأن الله تعالى سيختبرهم يوم القيمة تارة أخرى، ليس هذا فحسب، بل وصل الأمر بهم إلى تكفير حامي الرسول، وناصره الأول، ألا وهو عمه أبو طالب عليه. وللأسف الشديد أن يكون ذلك مادة ومقرراً يتدارسه الطلاب في المدارس التعليمية! لاشك أن لهذه الأفكار سوقاً رائجة كانت في عهد التدليس، والوضع، والتزوير، أيام الأمويين الذين ما فتئوا يحاربون الإسلام والقرآن، إلى درجة بلغت بمعاوية (كاتب الوحي على حد زعمهم!) الحقد على رسول الله عليه وعلى الرسالة، كما ينقل صاحب شرح النهج وهو ابن أبي الحديد وهو من أكابر علماء السنة إذ يقول: عن مطرف بن المغيرة قال لي أبي: خلوت بمعاوية فقلت له: إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت،

ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فثار معاوية... واندفع يقول: هيئات.. هيئات.. إلى أن قال: (...أن أخا هاشم - يعني رسول الله - يصرخ به في كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله (فأي عمل يبقى بعد هذا - لا أم لك - إلا دفنا دفنا) (شرح النهج ج ٢ ص ٢٩٧ ومروج الذهب للمسعودي ص ٣٤٢ ج ٢)، فمعاوية يأمل أن يدفن اسم النبي ﷺ.

ولا غرو أن في عهد معاوية كان يلعن الإمام أمير المؤمنين ؓ على آلاف المنابر، وفي خطب الجمعة، واستمر الأمر على هذا النحو ثمانين عاماً، كما يذكر أرباب التواريخ، فإذا كان الحال هذه بالنسبة للرسول ﷺ والإمام علي ؓ، فكيف إذاً سيكون حال آبائهما؟ خصوصاً أن الآيات والروايات قد تواترت وتضافت على كفر بني أمية ولعنهما، إلا أن السياسة الأموية الماكيرة عملت على تحريف ذلك باتجاه بني هاشم الذين انبثق منهم نور النبوة والإمامية. قبل أن نلجم في هذا المبحث حول إيمان أبي طالب ؓ، لابد لنا من الإشارة إلى إيمان آباء النبي ﷺ. فقد ذكر

صاحب مجمع البيان في تفسير الآية: ﴿وَنَقْلُكَ فِي السَّجِدَةِ﴾ أن جميع أجداد النبي ﷺ من زمان آدم عليه السلام إلى زمان نبينا محمد ﷺ كانوا موحدين، وفي التفسير المشهور لعلي بن إبراهيم القمي للأية ذاتها ﴿وَنَقْلُكَ فِي السَّجِدَةِ﴾ قال: أي في أصلاب النبین ﷺ.

ومما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره الإمام شمس الدين (المتوفى سنة ٦٣٠هـ) في كتابه (حجۃ الذاہب) في تعليقه على هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا لَقَبَلَ إِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكًا وَبَلَّغْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧ - ١٢٨] إذا يقول شمس الدين: غير جائز أن تنقطع هذه الأمة المسلمة من أمة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى يوم القيمة، ومن زعم ذلك فقد زعم أن دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم تستجب». وإضافة إلى هذا فهناك جملة من الأحاديث الدالة على ذلك، منها: (يبعث الله تعالى عبدالمطلب يوم القيمة وعليه سماء الأنبياء وبهاء الملوك) (شرح النهج ص ٣١١ ج ٢)،

وعن النبي ﷺ: «لم يزل الله تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني إلى عالمكم هذا» نقاً عن حجة الذاهب.

والأحاديث في هذا السياق كثيرة ونكتفي بذلك منها للاستطراد. أما بالنسبة لأبي طالب ﷺ حامي الرسول ﷺ وناصره وكافله، فلقد ناله حظ وافر من الطعن بإيمانه والتشكيك بإسلامه، وما ذلك إلا لأنه حجر الإسلام ووعاؤه، ففي كنفه ترعرع الرسول ووصيه أمير المؤمنين (عليهما ولهم السلام)، وقد آزر أبو طالب الرسول ﷺ حتى توفي، وعلى إثره اضطر للهجرة إلى المدينة، وحتى لا تستبق الأحداث لنستدل بالمعطيات التي تؤكد حقيقة إيمانه ﷺ. يؤكد الشيخ الطبسي في كتابه (منية الراغب) أن أبو طالب كان من أهل التوحيد والإيمان وناصر الرسول وحاميه بشهادة الباري - عَزَّوجَلَّ - في كتابه الكريم بقوله: **«وَالَّذِينَ مَأْوَا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا»** **«لَمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»** [الأنفال: ٧٤]. وفي رواية الكافي، أنه لما مات أبو طالب ﷺ هبط جبرائيل على رسول الله ﷺ وقال:

يا محمد أخرج من مكة فليس لك فيها ناصر)، وفي رواية أخرى (فقد مات ناصرك).

وما دامت الحرب على أبي طالب حرباً إعلامية أموية حاقدة من خلال مرويات الوضاعين، فلنا أن نتخندق بروايات محمد وأهل بيته (صلوات الله عليهم) في إثباتهم عظمة إسلام أبي طالب، وقمة رسوخ إيمانه، إضافة إلى شواهد أخرى من التاريخ التي وصلتنا وبلغنا النزد البسيط منها. فقد روي عن الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم) عن الحسن العسكري عليه السلام في حديث طويل: (أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله ص إنني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانة، فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانة فسيدهم وأفضلهم ابنه علي، ثم قال: وإن أبو طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه (حجۃ الذاهب ص ٤٠٧). ولا بأس أن نشير هنا إلى الآيات الواردة في مؤمن آل فرعون التي كان أحد مصاديقها أبو طالب عليه السلام طبقاً للروايات، والآيات من سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ﴾

يَكُنْتُ إِيمَنَهُ، أَنْقَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٣٨﴾ ... ﴿يَقُولُ أَتَيْعُونُ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
 الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
 دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
 صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
 الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَيَقُولُ مَا لِي أَذْعُوكُمْ إِلَى
 النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونِي لَا كُفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ
 مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ
 إِنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ
 مَرْدَنَا إِلَى اللَّهِ ﴿٤٤﴾ ... ﴿فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي
 إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ .

ولاشك أن أبا طالب كان يقول ذلك لقومه، وموافقه
 وأشعاره صريحة في هذا الشأن. فإذا كان الرجل الذي خصته
 هذه الآيات هو مؤمن آل فرعون، فلا نغالي بقولنا أن أبا
 طالب هو مؤمن قريش! وإن مثل أبي طالب كمثل أصحاب
 الكهف أيضاً حيث كتموا إيمانهم، وهناك روایات صريحة في
 هذا المعنى، راجع الغدير (ص ٣٩١، ج ٧). وقد نقل العلامة

الطبسي في كتابه (منية الراغب) ص ١٣، وص ٢٢ أحاديث
رسول الله ﷺ منها قوله: (إن عبد المطلب كان على دين
إبراهيم عليهما السلام)، وأن أبا طالب قال عند الوفاة أنا على ملة عبد
المطلب)، وأن أبا طالب كان وصيًّا من أوصياء إبراهيم)،
وأيضاً أن أبا طالب كان آخر أوصياء عيسى). ولا توجد
مانعة الجمع فتدبر. وفي رواية الكافي عن أبي الحسن
الأول عليهما السلام (أن أبا طالب كان مستودعاً للوصايا فدفعها للنبي
محمد ﷺ). وأشار أرباب التاريخ إلى أن رسول الله ﷺ أعلن
عام الحزن في العام الذي توفي فيه أبا طالب والستة
خديجة، فهل كان النبي يحزن لموت الكافر والمشرك والعياذ
ب الله؟!

ونقل الذهبي في تاريخه بإسناده عن
العباس بن عبدالمطلب أنه سأله رسول الله ﷺ فقال: ما
ترجو لأبي طالب؟ فقال: كل خير أرجو من ربِّي ﷺ ص ١٣٨
ج ١. وروي عن أمير المؤمنين عليهما السلام أنه كان جالساً في الرحبة
والناس حوله فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك
بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب بالنار. فقال عليهما السلام:

(مه، فضل الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار! والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمة، إلا أن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بـألفي عام) والمصادر لهذا الحديث: المناقب لابن شاذان وكنز الفوائد للكراچكي ص ٨٠ وتفسير أبي الفتاح ص ٢١١ ج ٤ والدرجات الرفيعة ص ٥٠ وضياء العالمين للفتوني كما أخرجه الأميني في الغدير. وفي هذا السياق نذكر ما ذكره علامه المعتزلة في شرح النهج، عن أبي بصير المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام سيدي إن الناس يقولون: إن أبو طالب في ضحاض من نار يغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: كذبوا والله. إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم، ثم قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر أن يحج عن أب النبي وأمه وعن أبي طالب في حياته، ولقد أوصى بالحج عنهم بعد مماته ص ٣١١ ج ٣ كما في الدرجات

الربيعية ص ٤٩ ، بهذه الأخبار المروية في كتب العامة المختصة بذكر الصحاح وما شاكلها من متخرصات الفتن وموضوعاتبني أمية والناصبيين العدواة لأهل بيتهنبو . وذكر أرباب التاريخ والتفسير والحديث والسيرة وصية أبا طالب لما حضرته الوفاة فقد دعا أولاده وأخوه وأحلافه وعشائره وأكد عليهم ووصاهم بنصرة النبي ﷺ ومؤازرته، وبذل النفوس دون مهجته، وعرفهم ما لهم في ذلك من الشرف العاجل والثواب الآجل فقال:

أوصي بنصر نبي الخير أربعة
ابني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته
وجعفراً أن تذودوا دونه الناس
كونوا فداء لكم أمري وما ولدت
في نصرأحمد دون الناس أتراس
وأورد الإمام شمس الدين عن جماعة من الأصحاب
عن الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم) أنهم سئلوا عن
قول النبي ﷺ المتفق على روایته والمجمع على صحته: (أنا

وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) فقالوا: أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب، لأنه كفله يتيناً من أبويه، ولم يزل شفيفاً حدبأ عليه (حجـة الـذاـهـب ص ١٦٥).

وفي كتاب المولد لأبي الحسن البكري في وفاة أبي طالب قال: . . وقاموا في مواراته وكان النبي ﷺ يغسله وعلى يصب الماء عليه ثم أدرجوه في أكفانه بعد أن أهدى إليه السدر والكافور من الجنة! وحزن عليه رسول الله وأولاد عبدالمطلب وبنو هاشم وبنو عبد مناف وجميع أهل مكة والنساء شققن عليه الجيوب ونشرن عليه الشعور ورسول الله وعلى ييكـان عليه فلما فرغ النبي من تغسـيلـه وتكـفينـه أـنـزلـه بـعـدـ ذلك في لـحـدـهـ ولـقـنـهـ وهو يـبـكـيـ ويـقـولـ: وـابـتـاهـ وـأـبـاـ طـالـبـاهـ وـاحـزـنـاهـ عـلـيـكـ ياـ عـمـاهـ . . آـهـ . . آـهـ . . بـعـدـكـ ياـ عـمـاهـ رـبـيـتـنيـ صـغـيرـاـ وـأـحـبـبـتـنيـ كـبـيرـاـ وـكـنـتـ عـنـدـكـ بـمـنـزـلـةـ العـيـنـ منـ الـحـدـقـةـ وـالـرـوـحـ مـنـ الـجـسـدـ! ثـمـ هـالـلـواـ عـلـيـهـ التـرـابـ وجـازـواـ نـحـوـ العـزـاءـ وـعـزـاهـ النـاسـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ، وـقـدـ رـثـاهـ الإـمـامـ عـلـيـ فـيـ أـبـيـاتـ كـثـيرـةـ. وـمـنـ الشـوـاهـدـ الدـالـلـةـ عـلـىـ خـالـصـ إـيمـانـهـ أـشـعـارـهـ الـكـثـيرـةـ وـالـلـوـفـيـرـةـ، صـادـحـاـ بـالـحـقـ، وـقـادـحـاـ بـالـكـفـرـ، وـمـنـافـحـاـ

عن الدين وشريعة سيد المرسلين، وجمعها بعض العلماء
فصارت ديواناً كاملاً.

لقد أكرم الله النبي محمد
 فأكرم خلق الله في الناس أحمد
 وشق له من اسمه ليجله
 فذوا العرش محمود وهذا محمد

وهناك في الحقيقة مئات الروايات والموافق والأشعار
أعرضنا عن ذكرها لضيق المجال، كما أن هناك شهادات
كثيرة من الصحابة في حق أبي طالب كابن عباس، وأبو بكر،
 وأبو ذر، وغيرهم، إضافة إلى تصريحات علماء العامة بهذا
الخصوص كأبو حنيفة، ومالك، والتلميسي، والحسيني،
 والقرافي، ودحLAN، وأبو الفداء، وابن الأثير، وأبو الفرج
 الأصفهاني، وغيرهم بالعشرات بل بالمئات. أما علماءنا وهم
 بالآلاف قد أجمعوا على هذا المطلب وصنفوه في ذلك
 العديد من المصنفات، ولم يشد منهم أحد. فقد عرفت مما
 سبق أن منشأ تكفير أبي طالب عليه السلام هو من افتراء الوضاعين
 المغرضين بالأمويين، وتبيّن أن الله تعالى قد شهد له بالإيمان

في أكثر من آية وفي مواطن عديدة وهكذا رسوله وعترته الطاهرين عليهم السلام في متواتر الحديث وصحبيه، وأثبتنا أن عبدالمطلب وأبا طالب في منزلة الأنبياء والأوصياء. فليس هذا بقليل على حامي الرسول ص وناصره الأول، إذ لولاه لما بقي للإسلام ركن ولا استقام له عود.



وماذا بعده تلك البراهين الساطعة والحجج الإمامية؟

بياناً لحقيقة إيمان رئيس قريش وزعيمها، وسيد البطحاء، وعم الرسول الأعظم ﷺ وحاميه، وكافله، والداب عنه «أبو طالب» عَلَيْهِ السَّلَامُ في حزمة ضخمة من الأحاديث والمرويات والمتواترات، العظيمة السندي، التي تدل دلالة كبيرة جداً على إيمانه القوي، والراسخ بدين الله سبحانه وتعالى، ورسالة محمد ﷺ، دون أن يرقى إليه الشك والريب. فهذه دعوة مفتوحة من القلب إلى القلب لأصحاب العقول النيرة، والألباب الراجحة، والقلوب الزاكية، ولمن ألقى السمع وهو شهيد، أن يتحرر من نير العقول، واسترافق واستعبد الأفكار السوداء، حتى يؤوب الضال إلى رشده،

ويشوب المخطئ إلى صوابه، ويزن الأمور بالقسطاس
المستقيم الذي لا يشوبه لغوب ولا لاغيه، ويقف على جادة
الصواب، ويصيب كبد الحقيقة، ويقر بهذا الأمر، ويعرف
بهذا الواقع، ويفيق من هذا السبات، بأن «أبو طالب» مؤمن
باستحقاق، شاء من شاء وأبى من أبى، وهو عند الله من
المقربين الأبرار الأخيار.

ألا يستحق منا أبو طالب عليه السلام كل هذه الثقة،
والتصديق، والوفاء، ورد الجميل، على رغم كل ما قام به
من أعمال خارقة جدًا في حفظ الرسالة المحمدية وهي في
مدها، وما بذله من جهود جبارة في كفالة وحماية نبينا
محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو لا يزال طفلاً، وصبياً، وشاباً، ليصدع
بالرسالة، ويمضي بالنذارة. ألا يستحق منا تخليد ذكره،
وتمجيده، والإحتفاء به، والدفاع عن حقه، وشرفه، وكرامته،
لأن صون شرفه وكرامته عليه السلام هو صون لشرف وكرامة النبي
محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه لأنه عمه وحاميه وكافله، وذرعه الواقي، وهو شيخ
البطحاء وسيدها، وزعيم قريش، وسيد أشرافها، فلماذا كل
هذا الجفاء وهذه القسوة عليه، ولماذا نوصمه بهذه الوصمة

وهذا العار، ونوسمه بهذا الوسم وهو الكفر والعياذ بالله، وهذا يغضب النبي محمد ﷺ لإلصاق تهمة الكفر بعمره، مع أن النبي محمد ﷺ قد أكد خبر إيمانه وتقواه، وإنه يحبه حباً شديداً لحبه له، ورأفته به، وشفقته عليه.

فلماذا يصر البعض على نسبة الكفر له، والنيل منه، وبهته، وازدرائه، فقط لأنه أباً لعلي بن أبي طالب ؓ، ألا نأخذ كلام الرسول ﷺ على محمل الجد، وأنه ﷺ، لا يحابي، ولا ينافق، ولا يداهن، لا تأخذه في الله لومة لائم طرفة عين. وأيضاً لا ننسى أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى. فعندما نعت عمه أبو طالب ؓ بالإيمان والتقوى، «وأنه لو وزن إيمان أبو طالب ؓ في كفة وإيمان الخلائق في كفة أخرى لرجحت كفة إيمانه» لا يقصد الرسول ﷺ أن يسبغ على عمه صفات وسمات هو ليست أهلاً لها، أو يقلده وسام لا يليق به، حاشى وكلا أن يفعل رسول الله ﷺ هذا الفعل لإرضاء مخلوق، وهو الذي يقول في نص حديثه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». ثم إن في الحديث المروي عن

الرسول ﷺ «احمل أخيك المؤمن على سبعين محمل من الخير». وللمزيد من الأدلة والحقائق والواقع التي تدلل على إيمان أبو طالب ﷺ وعباده وتقواه. فقد روى العلامة أبو عبدالله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي في كتابه *كفاية الطالب*؛ الباب السابع في مولده وهو في الفصل الثالث بعد الأبواب المائة التي ذكرها في مناقب الإمام علي، ضمن رواية طويلة نقتطف منها الشاهد هنا وهي الآيات، إذ روى بسنده المتصل بمسلم بن خالد المكي عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سألت رسول الله عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال: لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح.. فلما أصبح (أبو طالب) دخل الكعبة وهو يقول (شعرًا):

يا رب هذا الغسق الدجى والقمر المنبلج المُضى
بِيْنَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ الْخَفِيِّ مَاذَا تَرَى فِي اسْمِ ذَا الصَّبِيِّ
فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي خصصتما بالولد الزكي
إن اسمه من شامخ العليٌّ عليٌّ اشتُقَّ منَ العليٌّ

والرواية كما تفيد بأن أبا طالب خاطب ربه شرعاً فجاءه
الجواب شرعاً، فمن أجابه؟ فإذا كان ملاكاً، فبالتأكيد أنه
مكلف من الله وهو العلة الأولى. والمتأمل في الرواية التالية
يدرك مدى الكرامة الربانية التي حظي بها علي وأبواه عليهم السلام
بتفصيل أكبر في رواية العلامة الهمданى الشافعى في كتابه
مودة القربى؛ المودة الثامنة، ونقل عنه الحافظ القندوزى في
كتابه ينابيع المودة المطبوع في استانبول؛ الباب السادس
والخمسين: عن العباس بن عبد المطلب قال: لما ولدت
فاطمة بنت أسد «عليها» سمته باسم أبيها أسد، ولم يرض أبو
طالب بهذا الاسم فقال: هلم حتى نعلو أبا قبيس (جبل أبي
قبيس بمكة) ليلاً وندعوا خالق الخضراء لعله يبنينا في اسمه،
فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى، فأنشأ
أبو طالب شرعاً. فإذا خشخشت من السماء، فرفع أبو طالب
طرفه فإذا لوح مثل زيرجد أخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا
يديه وضمه إلى صدره ضمماً شديداً فإذا مكتوب فيه.. (البيتان
السابقان) فسر أبو طالب سروراً عظيماً، وخرّ ساجداً لله
تبارك وتعالى، وعق عشر من الإبل، وكان اللوح معلقاً في
بيت الله الحرام يفخر به بنو هاشم على قريش حتى غلب

الحجاجُ ابنَ الزبير، انتهى كلام العلامة الهمданى . فهل كان
ليفتخر الهاشميون بلوح لم يكن مصدره إلهياً ويوضع في
جوف الكعبة من قبل البعثة النبوية مروراً بعصر الرسالة
والخلفاء وبداية عهد بنى أمية !!

فلا زال أحبتي هناك متسع من الوقت لنتصالح مع
أنفسنا ، ونقر بالحقيقة المائلة أمامنا والتي لا يمكن إنكارها ،
أو النكوص منها ، أو التمرد عليها ، وهي حقيقة إيمان وقوى
أبو طالب عليه السلام الذي صرخ به النبي الأكرم ص ولهج به
لسانه ، وأعتقده ضميره ، وأقرتها سريرته ، فإن خالفنا هذا
المنهج ، فإننا نخالف قول النبي محمد ص ، وإن كذبناه ،
فنكذب رسول الله ص ، وهو المعصوم عن الخلل والزلل ،
والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من تحته ولا من
فوقه . فهل يحب أحدكم أن يخالف رسول الله ص ، أو
يغضبه ، أو ينتقص من ذريته المقدسة الطاهرة ، أو يزدرىهم ،
أو يهتئم أو يقلل من شأنهم ، لسبب أو آخر . أنا لا أجزم
ولا أعتقد ، بوجود مسلم يرضى لنفسه أن يكون مغضاً ،
ومبغضاً لرسول الله ص ، أو يسعى إلى تكذيبه أو التشكيك
في أقواله حول إيمان عمه أبوطالب عليه السلام البتة . من هنا يجب

أن نكون عند حسن ظن ببعضنا البعض، وأن نثق ببعضنا البعض، وأن نبتعد عن التشكيك في معتقدات وإيمان ببعضنا البعض، أو نسفة أحلامنا، حتى لا نعطي ذريعة لأحد أن يتطلّل على ديننا، أو يتدخل فيما بيننا، ليشق صفوتنا، أو يمزق وحدتنا، ويفرق جمعنا، ويبدد شملنا لسبب تافه جداً وهو الطعن في صحة إيمان فلان، أو عدم إيمانه، فهل نقيم الدنيا ولا نقعدها، أو ننكب حظنا العاشر على أمر غایة في البساطة كهذا. هذا الرجل العظيم رحل من الدنيا راضياً مرضياً، ومضى إلى سبيل ربه محتسباً، مفوضاً أمره إلى الله، بعد أن أدى ما عليه من واجبات ومسؤوليات اتجاه خالقه ودينه الذي ارتضاه له، ومعتقداته وإيمانه، وجاهد في الله عَزَّلَه حق الجهاد، بما في ذلك قناعته العظيمة بجلال وقدر هذا الدين العظيم الذي أتى به محمد ﷺ من خالق السماء، فقدم ما يملك قربات إلى الله تعالى من أجل نصرة هذا الدين، ومناصرة ومؤازرة النبي رسول الله ﷺ.

فهذا الرجل العظيم الذي كان بمثابة الأب الرحيم لمحمد ﷺ، فحينما كان على فراش الموت أوصى قريش بهذه الوصية، قائلاً: «فانظروا أيها الأحبة كيف أن الإنسان

حينما تصفو نفسه وتطمئن إلى بارئها، يقول: «أوصيكم بتعظيم هذا البيت»، فإن فيه مرضاة الرب، وقوام العيش . . . «هذا الرجل لم تصله دعوة، بل عاش على الفطرة»، . . . صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، اتركوا البغي فقد أهلك القرون من قبلكم . . . «البغي العداوان، البغي تجاوز الحد، البغي هو الظلم، والظلم ظلماتٌ كما تعلمون». ثم يقول: ﴿يَا مُعْشِرَ قَرِيشٍ أَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَأَعْطُوا السَّائِلَ، إِنَّ فِيهِمَا شَرْفَ الْحَيَاةِ، وَشَرْفَ الْمَمَاتِ﴾ إِنْ دُعِيْتُ إِلَى شَيْءٍ فَأَجِبْ، أَوْ سُئِلْتُ فَأَعْطِ، أَوْ دُعِيْتُ إِلَى حَقِيقَةٍ نَاصِعَةٍ تَقَبَّلْ، أَوْ دُعِيْتُ إِلَى خَيْرٍ عَمِيمٍ فَافْعُلْ، وَعَلَيْكُمْ بَصَدْقَ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ، أَلَا وَإِنِّي أَوْصِيَكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا». بالفطرة رأى فتنٍ صادقاً أميناً يدعوا إلى خير، ما جرب عليه قومه كذباً قط. عفةٌ عن المحارم، عفةٌ عن المطامع، نسبٌ عريقٌ كريمٌ بن كريم بن كريم بن كريم، ما عرف النبي ﷺ في سلالته الطاهرة إلا كلَّ محتدٌ عريقٌ ونسبٌ عظيمٌ. قال أبو طالب: «ألا وإنِّي أَوْصِيَكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي قَرِيشٍ، وَالصَّادِقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَقَدْ جَاءَنَا بِأَمْرٍ،

قبله الجنان، وأنكره اللسان». القلب قبله، لأن الذي جاء به النبي عليه ﷺ مطابق للفطرة، جاءنا بأمرٍ مطابق للعقل، مطابق للخير، مطابق للحق. ويقول أيضاً: «ألا وإنني أوصيكم بمحمي خيراً فإنه الأمين في قريش والصادق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمرٍ، قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنان».

هذه حال قريش حينما تلقت دعوة النبي، قلبها قبل هذه الدعوة، ولكن لسانها أنكرها، مخافة أن تدع دين آبائها وأجدادها، ويخسر زعماؤها مراكزهم. وكان أبو طالب عليه السلام يستشرف المستقبل ويقرأه عن كثب، فيقول: «وايم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأني به وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها». ما هذا التنبؤ؟ ما هذا الإدراك العميق؟ ما هذا الاستشفاف للمستقبل؟ لذلك الصعلوك الذي لا يعرف أحدٌ نسبه إذا عرف الله عزّ وجل رفعه الله إلى أعلى عليين، وخفض من زها على الناس بنسبه وبماله وبمكانته إلى أسفل سافلين، من هو صهيب؟ من هو بلال؟ من هم هؤلاء

الصحابة الفقراء الصغار الذين كانوا مستضعفين في الأرض؟ كانوا صعاليك العرب كما يقول أهل الجاهلية، هؤلاء حينما آمنوا بالنبي عليه ﷺ، وأجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموه أمره، فخاض بهم النبي غمرات الموت. «ولكأنني به وقد محضته العرب ودادها، وأعطيته قيادها.»، كلمات بلية بلية، ودقيقة، وعميقة قالها أبو طالب ؓ قبل أن تصعد روحه المقدسة إلى بارئها إلى الرفيق الأعلى.

ويقول «والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدى بهديه إلا سعد، ولو كان في العمر بقية لکفت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي»، ثم وضع عينيه على أهله الأقربين واختصهم بوصية أخرى، وقال لهم: « وأنتم يا معاشربني هاشم أجيروا محمداً وصدقوا تفلحوا وترشدوا ». هذا كلام أبي طالب، هذا كلام الفطرة، هذا كلام العقل، هذا كلام الإدراك الحصيف، هذا كلام العقل الراجح، ما من حديث يشدني كقول النبي ﷺ: «أرج حكم عقلًا أشدكم الله حبًا»

وتوفي أبو طالب، وبقيت في خواتر أمامنا ومولانا ومقتدانا ونور حدقتنا، وجواز صراحتنا (عليه) سُمِّ الله عليه

كلمات أبيه، «عظموا الكعبة، صلوا الرحم، اتركوا البغي، أجبوا الداعي، كونوا صادقين، عيشوا أمناء»، أي أنه إذا كان من الممكن أن يكون هناك مؤشرٌ للإيمان، وهناك مؤشرٌ لرجاحة العقل، فلا نعدو أبو طالب عليه السلام. وفي أحد الأيام رأى أبو طالب النبي صلی الله علیه وسَلَّمَ يصلي وقد وقف على عليه السلام على يمينه، ولمح من بعيد ولده جعفرًا فناداه، حتى إذا اقترب منه قال له: «صلْ جناح ابن عمك، وصلْ عن يساره». أي إن علينا عن يمينه، وأنت عن يساره. وهذا لعمري درسٌ بلieve للآباء، فالآب الذي يرى ابنه قد اهتدى إلى سواء السبيل ينبغي أن يفرح فرحاً لا يقدر بثمن، كما ينبغي أن يغتبط لهذا الحدث، وينبغي أن يمتلىء قلبه سروراً، ولو أن آباً عرف مصير ابنه المهتدى لأدرك أنه حاز شرف الدنيا والآخرة، وإنها أكبر ثروة ملكه الله إياها، لذلك ورد في الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسَلَّمَ «إِنَّ أَظَيْبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ» (رواه أصحاب السنن وأحمد).

فأبو طالب الذي يؤمن ويعتقد حتماً جزماً بأن ابن أخيه

محمد بن عبد الله ﷺ صادق أمين، فحينما جاؤوه قريش
 يطلبون منه أن يقنع ابن أخيه محمداً ﷺ أن يكف عن دعوته
 لثلا يسفة آلهة قريش ويسفة أحلامها، قالوا له: يا أبو طالب
 «إن لك فينا سناً وشرفاً ومنزلة، وإننا قد استنهيناك من ابن
 أخيك فلم تنهه عنا، وإننا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا،
 وعيوب آهتنا، وتسيفيها، فإما أن تكف عننا، أو ننازله وإياك،
 حتى يهلك منا أحد الفريقين»، فلما عرض على ابن أخيه هذا
 العرض قال قوله الشهيرة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس
 في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره
 الله أو أهلك دونه». إذ ذكر القرطبي في تفسيره للآية ٦ من
 سورة ﴿المرد﴾ بلفظ: (لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في
 يدي ما سألكم غيرها). فعندئذ قال أبو طالب ﷺ، تأييداً
 ومساندة للنبي ﷺ وذوداً ودافعاً عنه: «يا بن أخي افعل ما
 بدا لك، والله لن يصلوا إليك»، فكان ﷺ من أشد الذين
 حموا النبي ﷺ.

وذات مرة رأى أبو طالب النبي ﷺ كثيباً حزيناً،
 فتحرّى الأمر، فعلم أن قريشاً قد آذته، وبالغت في إيقاع

الأذى به، فنهض من فوره حاملاً سيفه بيمنيه، متأبطاً ذراع النبي بيساره، حتى إذا وقف على الذين آذوه، ورآهم يتململون حين يَصُرُّوا به مقبلاً، صاح فيهم: «والذي يؤمن به محمدٌ لئن قام منكم أحدٌ لأعالجه بسيفي». نعم، هذا هو أبوطالب عليه السلام الذي ترك بصماته واضحة وجليلة، وبضم بالعشر الأنامل، وراهن على موضوع إيمانه القوي، وعزمه الثاقب على أن لا يترك هذه الدنيا إلا مؤمن من العيار الثقيل، وقد فعلها باستحقاق، ونجاح باهر، حيث حاز والله قصب السبق، والجائزة الكبرى في تفوقه على أقرانه في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والتصديق برسالة محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فإني أعتقد أن الأدلة التي سقتها في هذا الخطاب لها مدلول قوى جداً ومؤثر حول إيمان أبو طالب عليه السلام، وثباته على الهدى ودين الحق، إيماناً راسخاً لم يتزلزل، ولم يتبدل. فالسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يولد حياً. اللهم فاشهد، اللهم إني بلغت لمن ألقى السمع وهو شهيد. «سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآلـهـ المـيـامـينـ وسلم تسليماً كثيراً.

المحتويات

٧	مقدمة الكتاب
١٥	حياته ﷺ
٢٧	شعر أبو طالب ﷺ في مدح النبي محمد ﷺ والدعوة للدين الإسلامي
٦١	الدليل على إيمان أبو طالب ﷺ
٨١	وماذا بعد تلك البراهين الساطعة والحجج اللامعة
٩٥	المحتويات



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٠٠٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



دار المحاجة
ال Bentjouna
Dar Al Mahaja